

## سلسلة فهم أقوال أهل النقد (٣).

قيل لأبي سعيد أحمد بن داود الحداد: إلى كم تكثب الحديث؟ قال:  
«أخرج جذعًا وأدخل ساجة».

أخرج ابن عدي في «الكامل» (٢٦٤/١) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ، قَالَ: قِيلَ لِأَبِي سَعِيدٍ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ الْحَدَّادِ: إِلَى كَمْ تَكْتُبُ الْحَدِيثَ؟ قَالَ: «أَخْرَجُ جِذْعًا وَأَدْخُلُ سَاجَةً».

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» [تحقيق بشار] (٢٢٩/٥) من طريق مُحَمَّد بن عَبَّاس الخزاز، عن أَبِي بَكْر بن أَبِي دَاوُد - وهو عبدالله بن سليمان بن الأشعث -، به.

قلت: كلمة الحداد شيخ الإمام البخاري - رحمهما الله - هذه تصحفت في كل طبعات الكتابين!

والساج نوع من أنواع الخشب في الهند، غالي الثمن، عظيم الجودة، يُستخدم في البناء وخاصة في بناء السفن لقوته ومتانته وثقله في الماء.

وفي «تهذيب اللغة» (٩٨/١١): "الساجة، الخشبة الواحدة المشرّجة المُرْبعة كما جُلبت من الهند، وجمّعها السّاج.

وقال ابن الأعرابي: يُقال للسّاجة التي يُشَقُّ مِنْهَا البَاب: السّالِجَة".

وفي «البناية شرح الهداية» (٢١٤/١١): "الساجة بالسین المهملة وتخفيف الجيم: خشبة عظيمة. وقيل: خشبة منحوتة مهياة للأساس، والأصح أنها خشبة صلبة قوية تجلب من بلاد الهند لها، ثم تعمل منها الأبواب".

والجِدْعُ بِالْكَسْرِ: سَاقُ النَّخْلَةِ، وَيُسَمَّى سَهْمُ السَّقْفِ جِدْعًا، وَالْجَمْعُ: جُدُوعٌ وَأَجْدَاعٌ.

ومعنى قول الحداد - رحمه الله- أنه كلما تقدّم في العلم وكتابة الحديث فإنه يتحصّل له فوائد من رفع موقف أو وصل مرسل ونحو ذلك، فكأنه يُخرج الجذع الهش من بناء بيته ويضع مكانه ساجة قوية، وهكذا العلم إذا تحصلت فائدة فإنها تزيد من شأن المحدث وترفع قدره ليكون ممن يؤخذ عنه العلم لمتانة ما عنده وقوته وذلك أنه لا يزال يجتهد في زيادة علمه.

فالمعنى العام المقصود من كلمة الحداد هذه أنّ طالب العلم لا يقف عند حدّ معين في العلم، فما زال الإنسان يتعلم ويصحح ما كان عنده من أشياء ليست بصحيحة أو محققة، وفي ذلك دعوة لطلبة العلم أن لا يغتروا بما علموه ولا يقفوا عند ذلك، ويجب المواظبة على التحصيل لتصحيح المعلومات وترسيخ المفاهيم حتى يفارق هذه الدنيا كما قال الإمام أحمد «مع المَحْبِرَة إِلَى المَقْبِرَة».

والحداد كان دائم السؤال والاستفهام، فقد روى أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْحَدَادِ، يَقُولُ: اسْتَفْهَمْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: كَمْ تَسْتَفْهَمُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَجْحَانًا، وَرَجْحَانُ الْحَدِيثِ الْاسْتِفْهَامُ، فَضَحَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، أَوْ كَمَا قَالَ.

فهذا تفسير قوله - رحمه الله-، فكلمًا تحصل فائدة أو فهمًا فكأنه أخرج ما كان ضعيفاً ووضع مكانه الشيء الثابت القوي.

## • اعتراض من بعض الإخوة!

وقد اعترض عليّ بعض الإخوة الفضلاء على ضبطي لهذه العبارة وأنه لا يوافقني عليه! وهو الأخ الفاضل الدكتور (محمد الحنبرجي)، فأرسل إليّ تفسيراً آخر لكلام الحداد، فقال: "(جذعا) هنا ليست بكسر الجيم، وإنما بفتحها كقول ورقة بن نوفل (يا ليتني فيها جذعا) والجذع هو الشاب الحدث. و(أخرج) بالفتح صفة لقائله، والمعنى: أخرج شاباً في طلب الحديث.. ومعلوم أن السؤال كان عن المدة الزمنية التي يتوقف بها الطالب عن طلب الحديث وكتابته، فقد قال له: إلى كم تكتب العلم، فقال: أرجو أن تروني منه إلى أن أموت. وقيل لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ فقال: حتى يموت. وعندي أن كلمة ساجة تحتل معنيين.. المعنى الثاني المحتمل والمترجح عندي أن الساجة على معناها وأنها الخشبة الطويلة المربعة التي تستخدم في صناعة الأبواب وغير ذلك.. ومنها أنها تستخدم في صناعة النعش فإنه أراد - والله أعلم -: أنه (يُدخل) بالمبني للمجهول (ساجة) أي مسجى على النعش. وعليه فإن معنى كلامه: استمر في كتابته من حين ما أخرج في طلبه شاباً حدثاً إلى أن أدخل بلدي ميتاً مسجى على النعش. وهذا موافق لأجوبة السلف قبله، وقريباً من المثل السائر: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.. ونحوه ما حسنه الترمذي: (لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة)، جعلنا الله وإياكم من أهلها. هذه وجهة نظري والأمر محتمل؛ لأن النص لم يرد مضبوطاً انتهى كلامه.

قلت: جرى الله أخانا خيراً على هذا الاجتهاد. وهو تفسير بعيد! ففي بداية كلامه جعل جذعا بمعنى الشاب الحدث، ثم (أخرج) صفة له أي: "يخرج شاباً لطلب الحديث!!" وهذا لا يستقيم!! لأن الحداد جعل هناك مقابلة في كلامه: "أدخل"

و"أخرج"، و"جذعا" و"ساجة"، فلا بدّ أن يكون هناك مقابلة أيضاً في الفهم بناء على هذه المقابلة في الكلمات.

ثم فسّر الساجة بالخشب الذي يستخدم في النعش!! والمعنى أن طالب الحديث يبدأ طلب العلم شاباً حدثاً إلى أن يدخل بلده (!! مسجى على النعش!!! وهذا لا يتوافق مع عبارة الحداد! فكيف يُدخل مسجى على النعش؟! وكأنه فهم أن النعش هو "الصندوق" الذي نراه في زماننا هذا!! وليس الأمر كذلك! ففي «المخصص» (٧٨/٢): "النَّعْشُ سَرِيرُ الْمَيِّتِ، وَقِيلَ: النَّعْشُ لِلْمَرْأَةِ، وَالسَّرِيرُ لِلرَّجُلِ وَسُمِّيَ نَعْشًا لِارْتِفَاعِهِ، يُقَالُ: نَعَشْتُ الشَّيْءَ رَفَعْتَهُ".

ومن أين للأخ الكريم أنهم كانوا يستخدمون الساج في النعش؟! وسرير الميت عندهم كان مجموعة من الأعواد، والعودُ - بالضم-: حَشْبَةُ كل شجرة دق أو غلظ، ومَيْتُ البوادي يُحْمَلُ على الأعواد التي تُضَمُّ عودًا إلى عود.

والذي دفع الأخ لهذا الفهم ما نسبه للإمام أحمد أنه قيل له: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ فقال: حتى يموت!

وهذا إنما يُروى عن سهل بن عبدالله التُّسْتَرِيّ، شيخ الصوفية، ففي ذمّ الكلام بإسنادٍ، عن سهل وَقِيلَ لَهُ: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قَالَ: "حَتَّى يَمُوتَ، وَيُصَبُّ باقِي حَبْرِهِ فِي قَبْرِهِ".

وهذا المعنى لا يختلف فيه أهل العلم، لكن الذي قصده الحداد ليس هذا، وإنما قصد ما ذكرناه آنفاً، ويؤيده أنه قيل لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن: إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: "لعل الكلمة التي انتفع بها ما كتبتها بعد".

فالذي قصده الحداد هو الانتفاع بهذا العلم، فكلما حصل فائدة قوي علمه. والأخ لم يُدقق في اللفظ: "أخرج" و"أدخل"، و"جذعاً" و"ساجة"، فهذه كلمات متقابلة تبين المعنى، فمقابل الخروج: الدخول، ومقابل الجذع: الساجة، والجذع والساجة يذكران على الحقيقة المعروفة عند السامع لا معنى آخر إلا بقريظة، فلا تُحمل كلمة "جذعاً" بمعنى الشاب الحدث إلا بقريظة! فالأصل أن الجذع هو خشب النخلة وهو ليس بمتانة خشب الساج! ولهذا قابلهما الحداد في كلامه.

وعادة ما يُذكر الجذع والساجة في سياق واحد. فقد روى الخطيب في «تاريخه» (١٢٤/١٤) من طريق أبي العيناء، قَالَ: كنت عند ابن أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيات، فجيء بالجاحظ مقيداً، وكان في أسبابه وناحيته، وعند ابن أبي دؤاد مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان، فقال ابن أبي دؤاد للجاحظ: ما تأويل هذه الآية {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}، فقال: تلاوتها تأويلها أعز الله القاضي.

فقال: جيئوا بحدّاد، فقال: أعز الله القاضي ليفك عني أو ليزيدني؟ فقال: بل ليفك عنك، فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، ففعل فلطمه الجاحظ، فقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقِي، وليس بجذع ولا ساجة، فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه، وَقَالَ ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه.

والفقهاء عندما تكلموا على مسائل العَصْب ذكروا "غصب الساجة والبناء عليها أو حولها" في كتبهم؛ لأنها تكون مُعدّة للأساس. وإنما تكلموا عليها لأنها ثمينة بخلاف الجذوع.

فلا أرى فائدة لتفسير الأخ لكلام الحداد! ولو أراد هذا المعنى الذي ذكره لقاله صراحة ولما احتاج أن يوهم بهذه العبارة!!! وهو لا شك أنه تكلم أمام أناس يعرفون اللغة ويعرفون مقاصد الكلام، ففهموا قصده؛ لأنه أتى بشيء من بينتهم يعرفونه، ولا يحتاج لأن يوهم في كلامه.

وأما قول الأخ: "ومعلوم أن السؤال كان عن المدة الزمنية التي يتوقف بها الطالب عن طلب الحديث وكتابته، فقد قال له: إلى كم تكتب العلم، فقال: أرجو أن تروني منه إلى أن أموت"!! فليست المسألة حول المدة الزمنية كما فهم! فالمدة الزمنية لطلب الحديث قد انتهت بالنسبة له، فهو قد طلب وكتب، وهذا واضح من السؤال إذ هو من كبار الشيوخ، ولكن السؤال عن استفهامه لبعض الأمور ومناقشته لأقرانه كما مر مع عبدالرحمن بن مهدي، وطلبه لأشياء ليست عنده، ولهذا جاء بهذا الجواب عن ذلك السؤال، وأنه كلما استفاد شيئاً جديداً كلما قوي علمه.

وتفسير الأخ على لسانه: "فقال: أرجو أن تروني منه إلى أن أموت"!! تقويل له ما لم يقله! مع تسليمنا أن العلم لا ينتهي، وأهل الحديث لا يزالون يطلبونه حتى الممات.

ثم أفادني الأخ الدكتور (محمد الحنبرجي) جزاه الله خيراً أن ابن حبان روى في كتابه «المجروحين» قال: حدثني محمد بن سعيد القزاز، قال: حدثنا الأخفش قال: حدثني بعض البصريين قال: رأيت أبا سعيد الحداد يكتب أصناف - أي مصنّفات - حماد بن سلمة عن هذا، ثم يجيء فيعرضها على نسخ آخر وفي رواية: فيعرضها على شيخ آخر-، فقلت له في ذلك، فقال: "اسكت أخرج جذعا أدخل ساجة". وقد ذكره ابن حبان في مقدمة كتابه في معرض بيان تفتيش العلماء في الحديث.

وقد جاء في المطبوع من نسخة حمدي السلفي (٣٤/١): "جِزْعاً"، وفي نسخة محمود إبراهيم زايد (٣١/١): "جِزْعاً"! مع أن المحقق محمود زايد فسرها في الهامش على أنها "جذعا"، فقال: "الجذع ساق النخلة وبه سمي سهم السقف، والساج خشب سودرزان لا تكاد الأرض تنبتها تجلب من الهند. يقال: رأيت في أساس بيته ساجة، والمعنى واضح أنه يستبدل هشاً بصلب قوي متين".

وما نقله ابن حبان يُبيِّن المعنى الذي جاء في رواية ابن عدي في «الكامل» فهي مُفسرة لها، وقد أصاب محقق كتاب ابن حبان في تفسيره لكلام الحداد.

#### ● ضبط د. بشار معروف لها:

وقد ضبطها الدكتور بشار أثناء تحقيقه لكتاب الخطيب هكذا: "أخرج جِذْعاً وأدخل ساحه"! لم يضبط إلا حرف الجيم في "جذعا" بالفتح!!

وقال في الهامش: "ولعله يريد: أخرج جديداً كما بدأت وأدخل ساحه، وقد تقرأ: (ساحة) أي: ناحية".

قلت: وهذا لا معنى له!! ولا علاقة للساحة هنا بهذا الجواب!!!

#### ● ضبط الشيخ السرساوي لعبارة الحداد، وكلمة حول تحقيقه لكتاب ابن عدي!

وكما ذكرت فإن هذه العبارة قد تصحفت في كثير من طبعات الكامل وتاريخ بغداد، وقد ضبط الشيخ الدكتور مازن السرساوي هذا النص في طبعته لكتاب ابن عدي (٣٧٤/١) برقم (٩٥٩): «أَخْرَجْ جِذْعاً، وَأَدْخُلْ سَاجَةً»! وهذا الضبط خطأ! لأنه جعله صفة لقائله وهو الحداد! أي أنه يخرج جذعاً ويدخل ساجة! وهذا لا معنى له! فكيف يخرج جذعا ويدخل ساجة؟! والصواب - إن شاء الله- ما

قدّمناه أن هذا وصف لما يكتبه من الحديث، ولهذا شبهه بإخراجه الجذع وإدخال الساجة مكانه كلما تقدم في تحصيل الحديث وفوائده.

والذي أراه أن الشيخ السرساوي اعتمد في طبعته على النسخة المُشكلة الموجودة في الموسوعة الشاملة فهي مضبوطة هكذا!!!

وقد تتبعت كثيراً من أجزاء الكتاب فوجدته - للأسف- قد اعتمد على تلك الموسوعة، وكأنه ليس له من عمله إلا إعادة صفّ الكتاب والترتيب والترقيم، وإصلاح ما وقف عليه من بعض التصحيفات والتحريفات!

وثمة أمر مهم في تحقيق الكتاب أن حواشيه قليلة، ومع أنها بهذا الوصف إلا أن معظم ما فيها إنما هو الإحالة إلى ترجمة الرواة الذين يترجم لهم ابن عدي إلى كتب متأخرة ككتاب ابن الجوزي في الضعفاء، وتذهيب الكمال، والميزان، وغيرها، ولا شك أن كتاب ابن عدي أصل، فلا يُشار إلى هذه الكتب إلا إذا أخذنا منها بعض الفوائد، وغير ذلك مما قد نفرده بمقالٍ خاص إن شاء الله.

وكذلك فإنه في تحقيقه لكتاب العقيلي في الضعفاء اعتمد أيضاً النسخة الموجودة في الموسوعة الشاملة حيث أنها مشكولة كلها، وتحقيقه مشكول كذلك، ولا تجد فيه موضعاً ليس كذلك؛ لأنه أخذه من الشاملة كاملاً!!!

والاعتماد على نسخ النصوص من الشاملة لا ضير فيه، لكن أن يؤخذ الكتاب كلّه وادّعاء تحقيقه فهذا لا يليق بطلبة الحديث!!! والتعليقات في كلا الكتابين أكثرها بالعزو للكتب التي يخرجون منها، والأصل في التحقيق إضافة لضبط النص هو شرحه، وبيان مقاصد مؤلفه، وترجيحه فيما يذكره في الرواة وأحاديثهم، وغير ذلك من الفوائد التي يحتاجها طالب الحديث.



وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

